من القصص العربي القديم

قال الطفيل بن عامر العمري : خرجت ذات يوم ارتاد المغازة — وكنت رجلا احب الوحدة — فبينا انا اسير ، اذ ضللت الطريق الذي اردته ، فسرت ايانا لا ادري اين اتوجه ، حتى نفد زادي ، فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى اشرفت على الهلاك ، ويئست من الحياة .

فبينا انا اسير اذ ابصرت قطيع غنم في ناحية من الطريق ، فملت اليها ، واذا شاب حسن الوجه ، مصبح اللسان .

قال لي : يابن العم ، اين تريد ؟ فقلت : اردت حاجة لي في بعض المدن ، وما اظنني الا قد ضللت الطريق . قال : اجل ! ان بينك وبين الطريق مسيرة ايام ، فانزل حتى تستريح وتطعم وتريح فرسك .

فنزلت فرمى لفرسي حشيشا ، وجاء الي بمزيد كثير ولبن ، ثم قام الى كبش فذبحه ، واجج نارا ، وجعل يكبب لي . ويطعمني حتى اكتفيت .

فلما جنى الليل قام وفرش لي ، وقال : قم فنم نعسك ، فان اليوم اذهب لتعبك ، وارجع لنعسك .

فقمت ووضعت رأسي ، فبينا انا نائم اذ اقبلت جارية لم تر عيناي مثلها قط حسنا وجمالا ، فقعدت الى الفتى ، وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به ، فامتنع على القوم لحسن حديثهما فلما كان وقت السحر ، قامت الى منزلها ، فلما اصبحنا دنوت منه ، فقلت له : من الرجل ؟ قال : انا فلان ابن فلان ، وانتسب لي فعرفته ، فقلت له : ويحك ! ان اباك لسيد قومه ، فما

حملك على وضعك نفسك في هذا المكان ؟ فقال : انا والله احبرك

كنت عاشقا لابنة عمي هذه التي رأيتها ؛ وكانت هي ايضا لي وامقة مشاع خبرها في الناس ، فأتيت عمي ، فسألته ان يزوجنيها ، فقال : يابني ، والله سألت شططا ، وما هي بأكثر عددي منك ، ولكن الناس قد تحدثوا بشيء ، وعمك يكره لقالة القبيحة ، ولكن انظر غيرها من قومك ، حتى يقوم عمك بالواجب لك .

فقلت : لا حاجة لي فيما ذكرت ، وتحيلت عليه بجماعة من قومي ، فردهم ، وزوجها رجلا من ثقيف له رياسة وقدر ، فحملها الى هنا — واشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا — فأقامت على الدنيا فرحتها ، وخرجت في اثرها ، فلما رأتني فرحت فرحا شديدا ، فقلت لها : لا تخبري احدا اني عندك بسبيل ، ثم اتيت زوجها ، وقلت له : انا رجل من الأزد ، اصبت دما وانا خائف ، وقد قصدتك لما اعرف من رغبتك في اصطناع المعروف ، ولي بمصر بالقرب منك ، ان رأيت ان تتعطفني من عندك شيئا فاكون في جوارك وكنفك فافعل ، قال : نعم ، وكرامة ، فاعطاني مائة شاة وقال لي : لا تبعد منها في الحي ، وكانت امة عمي تخرج الى كل ليلة في الوقت الذي رأيت وتنصرف ، فلما رأى حسن حال الغنم ، اعطاني هذه فرعيت من الدنيا بما ترى .

قال الطفيل : فاقمت عنده اياما ، فبينما انا نائم اذ سمعني ، وقال : يا اخا بني عامر ، قلت له : ما شأنك ؟ قال : ان ابنة عمي قد انطلقت ولم تكن هذه عادتها ، ووالله ما اظن ذلك الا لامر حادث ، فحدثني ، فجعلت احدثه ، فانشأ يقول :

ما بال بيته لا تأتي كعادتها
هل هاجها طرب او عادها شغل؟
لكن قلبي لا يهوى غير هيثم
حتى الممات ولا لي غيرهم امل
لو تعلمين الذي بي من محبتكم
لما اعتللت ولا طافت بك العلل
نفسي فداؤك قد هيجت لي سقما
تكاد من حره الاحشاء تنسفل
لو كان عادية بيته على جبل
لزال وانهد من اركانه الجبل

فوالله ما اكتحل بغمض ، حتى انحدر عمود الصبح ، وقام ومر نحو الحي فأنطا عني ساعة ، ثم اقبل ومعه شيء ، وجعل يبكي عليه ، فقلت له : ماهذا ؟ قال : هذه ابنة عمي اتبرتها السبع ، فأكل بعضها ، ووضعها بالقرب مني ، فأوجع والله قلبي .

ثم تناول سيفه ومر نحو الحي ، مايطا هيبة . ثم اقبل الى . وعلى عاتقه ليث كأنه حمار ، فقلت له ماهذا ؟ قال صاحبي . قلت وكيف علمته ؟ قال : اني قصدت الموضع الذي اصابها فيه . وعلمت انه سيعود الى ما فعل بها ، فجاء قاصدا الى ذلك الموضع، فعلمت انه هو ، فحملت عليه فقتلته ، ثم قام فحفر في الارض فاسعا، واخرج ثوبا جديدا ، وقال : يا اخا بني عامر ، اذا انا مت فادرجني فيها في هذا الثوب . ثم ضعني في هذه الحفرة ، واهل التراب . واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام .

كنا على ظهرها والعيش في مهل
والدهر يجمعنا . والدار والوطن
فحالما الدهر في تفريق الفتيا
واليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم التفت الى الاسد وقال :

الا ايها الليث المذل بنفسه
هلكت ، لقد جرت يداك لنا حزنا
وغادرتني فردا وقد كنت الفا
وصيرت أعناق الرجال لنا سجنا
أفسحب دهرا خلفي بفراقها
فحاد الهي ان اكون له حدنا

ثم قال : يا اخا بني عامر ، اذا مرعت من شأننا فاصنع في اعمار هذه الغنم فردها الى صاحبها .

ثم مات . فقمت فادرجتهما في ذلك الثوب . ووضعتهما في تلك الحفرة ، وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم الى صاحبها . وأتيت القوم ، فاخبرتهم الخبر . فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لنحزن عليه ، فطلبناه له ، فحزنوا ، واخرجوا مائة شاة ، وتسلم الغنم فاجتمعوا اليها ، فحزنت ثم انصرفنا .